خطبة بعنوان: فاستقم كما أمرت

يوم الجمعة: ١٤٣٩/١٠/٠٩هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيزبن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله - رضي الله عنه - أنه قال للنبي ﷺ : قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك، أو قال أحدًا بعدك فقال ﷺ: ((قل آمنت بالله ثم استقم)).

الاستقامة هي خلاصة السعادة، وزُبدة الرسالة، وأصل الإيمان، وأس الإسلام. من حازها فقد حاز خيرًا عظيمًا، ونال فضلًا كبيرًا، ووفق إلى طريق الجنة. أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالاستقامة على أمره فقال له:﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا...﴾[هود: ١١٢]، وقال له:﴿...وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...﴾[هود: ١١٢]، وأمر عباده بالاستقامة على أمره فقال على لسان نبيه ﷺ:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾[فصلت: ٦]

أيها المسلمون... إن الاستقامة في حقيقتها هي التزام طريق الله المستقيم، فلا يلتفت عنه يمنةً ولا يسرة، وهذا هو مطلب المؤمنين الذي يسألون الله تعالى إياه في كل ركعة من صلواتهم:﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ*صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة: ٦-٧]، فمن استقام على أمر الله تعالى وأمر رسولهﷺ، ولم ينحرف إلى البدع أو المحدثات، أو الذنوب والمعاصي فقد حقق الاستقامة.

أيها المسلمون... والاستقامة تعود إلى استقامة القلب، فإذا استقام القلب على أمر الله تعالى محبةً، وتعظيمًا، ورجاءً، وتوكلًا، وتعلقًا به سبحانه، فإن الأعضاء تستجيب لذلك وتنقاد له، وتستقيم على أمر الله وعلى نهيه، على أمر الله بفعله، وعلى نهيه باجتنابه؛ ولهذا لا تصح استقامة الأعضاء والجوارح إلا باستقامة القلب، فمن استقام

قلبه استقامت جوارحه، ومن لم يستقم قلبه لم تستقم جوارحه، وإن تظاهر بالاستقامة، وقلبه ليس بمستقيم لا يلبث أن يخونه قلبه، ولا يُختم له بخير - نعوذ بالله من ذلك -.

أيها المسلمون... وإذا وفق العبد للاستقامة، فقد حاز الأجر العظيم، والفضل الكبير في الدنيا، وفي الآخرة:﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ... ﴾[فصلت: ٣٠-٣١] إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ-يعني عند موتهم- أَلَّا تَخَافُوا – مما يستقبل- وَلَا تَحْزَنُوا – على ما مضى- وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ– وولاية الملائكة في الحياة الدنيا بحفظ أهل الاستقامة ورعايتهم وصيانتهم، وولاية الملائكة لأهل الاستقامة في الآخرة بأن تؤنسهم في قبورهم-

أيها المسلمون... من حقق الاستقامة فقد نال وعد الله عز وجل:﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأحقاف: ١٣-١٤]، ولا يتحقق للعبد الاستقامة على أمر الله تعالى إلا بمجاهدة النفس، ومخالفة الشيطان:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت: ٦٩]، ولا تتحقق الاستقامة للعبد إلا بأن يصحب أهل الاستقامة، وأن يحذر من أهل الأهواء المنحرفة، والشهوات الشاذة، ولا تتحقق للعبد الاستقامة إلا بأن يعرف عوائدها، وفضلها، وفوائدها في الدنيا وفي الآخرة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا...

اعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي وعن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.